رسائل علمية

طريق الحج
بين
الكوفة ومكة

دراسة نقدية لطريق الحج
بين الكوفة ومكة ودرب زبيدة
مقرونا
بدراسة ميدانية

للدكتور : سعد عبد العزيز الراشد

هذا هو عنوان أطروحة الدكتوراة التي قام بتقديمها سعد عبد العزيز الراشد الذي كان مبتعثا من جامعة الرياض الى جامعة ليدز في بريطانيا ، وقد قام الباحث المذكور بدراسة الآثار الاسلامية في بريطانيا وتجول في العديد من البلاد العربية لكي يتفحص الآثار الاسلامية الشاخصة خاصة تلك التي تتعلق بالمواصلات القديمة كطرق الحج والطرق التجارية ، وكان جل جهده منصبا على دراسة تاريخ وآثار طرق الحج الاسلامي الذي يعبر منتصف الجزيرة العربية من الطرف الى المدينة المنورة ومكة ·

وكان لمثل هذا النوع من الدراسة صدى واسع في المملكة العربية السعودية والاوساط العلمية في بريطانيا ، وقد قامت كل من جامعة الرياض ووزارة المعارف بتسهيل مهمة الباحث في زيادة ونقص معظم أجزاء الطريق ـ وكانت نتيجة بحثه الميداني الذي قام به الباحث في عام ١٣٩٣ هـ هو زيارة الكثير من آثار الطريق وكذلك اكتشاف بعض الآثار المهمة التي لم تكن معروفة من قبل ، وعلى ضوء استطلاعات الباحث لمعظم أجزاء الطريق قام بتقديم تقرير مختصر الى جامعة الرياض والى وزارة المعارف داعيا بالحفاظ على درب زبيدة والاهتمام بأثاره خاصة البرك والابار ـ كأثر اسلامي مهم وصورة مشرفة للدور الذي قام به الخلفاء المسلمون بصفة عامة وزبيدة بصفة خاصة بعمارة طريق الحج لحجاج بيت الله الحرام ، وقد قامت وزارة المعارف مشكورة بجعل درب زبيدة من الحدود العراقية الى مكة من الممتلكات الاثرية تحت رعاية واشراف الادارة العامة للآثار والمتاحف بالمملكة ، وقد قامت ادارة الآثار بايفاد مهندسين ومساحين اخصائيين لمسح وتسجيل الاثار الشاخصة والمندفنة وكذلك القيام بترميم البرك التي يمكن الاستفادة منها للبادية ·

وتأتي أطروحة الباحث (سعد عبد العزيز الراشد) في جزئين كبيرين :

الجزء الاول : يحوي المادة الكتابية والنقدية لتاريخ بناء درب زبيدة وتحليل لأثاره الشاخصة ، ومحتويات هذا الجزء كالتالي :

الفصل الاول : المقدمة

١ ـ طرق الحج الاسلامية المبكرة
٢ ـ بناء واعمار الطرق في الفترة الاموية
٣ ـ طريق الكوفة ـ مكة قبيل الفترة العباسية

الفصل الثاني : عمارة طريق الكوفة ـ مكة في الفترة العباسية

١ ـ الاعمال التي قام بها خلفاء بني العباس

٢ ـ مساهمة الملكة زبيدة في بناء الطريق

٣ ـ مساهمة بعض الشخصيات الاسلامية من مسلمين ومسلمات في عمارة الطريق ·

الفصل الثالث : مرحلة ضعف الطريق

١ ـ سطوة بعض القبائل

٢ ـ نشاط القرامطة

٣ ـ عوامل أخرى طبيعية وغيرها

الفصل الرابع : درب زبيدة في مراحل متأخرة

١ ـ حالة الطريق بعد سقوط بغداد

٢ ـ درب زبيدة في كتب الرحالة الاوروبيين

الفصل الخامس : دراسة الطريق ميدانيا :

١ ـ وصف عام للمواقع التي زارها كاتب البحث

٢ ـ تحقيق المحطات الرئيسية على درب زبيدة

الفصل السادس : الاعمال الهندسية والصيانة للطريق

١ ـ الطرق التي اتخذت لمد وبناء الطريق

٢ ـ الاعلام الواقعة على الطريق

الفصل السابع : آثار درب زبيدة

١ ـ بناء وتصميم البرك على طريق زبيدة

٢ ـ دراسة مقارنة لطراز بناء البرك في مناطق أخرى
أ ـ تونس
ب ـ شرق الاردن

جـ ــ سيناء وجنوب النقب
د ــ سوريا
هـ ــ فارس (ايران)
و ــ غرب الجزيرة
ز ــ جنوب الجزيرة العربية

٣ ــ تصميم وبناء الآبار

٤ ــ القصور والحصون

الفصل الثامن : الكتابات

١ ــ الاميال (الاحجار الميلية)

٢ ــ الكتابات الكوفية الواقعة على جانبي الطريق

الفصل التاسع : الملتقطات الاثرية
أ ــ الفخار
ب ــ الزجاج
جـ ــ بعض قطع عمله في الفترة العباسية

خلاصات البحث :

وقد ضمن الباحث في الجزء الاول بعض الصور الفوتغرافية النادرة لبعض البرك القديمة (والنصوص الكتابية) من بعض البلاد العربية التي قام بزيارتها • بالاضافة الى قوائم بعمال طريق الحج والمصطلحات العلمية المتعلقة به •

أما الجزء الثاني من الاطروحة فهو مجلد ضخم يحوي صور فريدة توضح معالم درب زبيدة وآثاره من برك وآبار وقصور وأميال ــ تغطي معظم أجزاء الطريق ــ كان الباحث نفسه قد قام بتصويرها في مراحل دراسته العليا المبكرة •

وقد اعتمد الباحث (سعد عبد العزيز الراشد) في دراسته لطرق الحج عامة (ودرب زبيدة خاصة) بالاعتماد على المصادر الاولية التاريخية والجغرافية وكذلك المخطوطات العربية المتعلقة بمياه مكة ومخطوطات فارسية

بالاضافة الى المصادر المبكرة استخدم الباحث كل مايشر له الاطلاع عليه من كتب ومطبوعات حديثة لها علاقة بتاريخ وآثار المملكة خاصة والجزيرة العربية عامة سواء العربي منها والاجنبي المطبوع منها وغير المطبوع ، وقد سجل الباحث شكره العميق لكل المؤسسات العلمية في الجامعات الاوربية والبلاد العربية على المساعدات التي تلقاها وكذلك شكر التعاون الذي تلقاه من بعض الدوائر الحكومية في المملكة على مساعدته واعانته في تنفيذ مهمته وفي مقدمة هذه المؤسسات العلمية يأتي دور جامعة الرياض التي لم تدخر وسعا في الانفاق بسخاء وأثناء وجود الباحث في أوربا أو متجولا في ربوع المملكة أو في بلدان الشرق الاوسط ـ وكانت نتيجة البحث مشرقة للغاية حيث نالت مادة البحث اجراء الكثير من علماء الآثار والمتخصصين في حضارة العالم الاسلامي ـ بالاضافة الى أن اللجنة التي ناقشت هذا البحث الكبير (وهي لجنة مكونة من جامعة ليدز وجامعة مانشستر) أوصت بالحاح ضرورة سرعة نشر مادة البحث في كتاب بأقصى سرعة ممكنة لما له من قيمة علمية ٠

هذا وقد علمنا بأن جامعة الرياض ستتولى هذا البحث الهام الخاص بجانب حضاري مهم لتاريخ أمتنا الاسلامية ٠

ونعود مرة أخرى الى صلب الموضوع فنجد أن الباحث أنهى البحث بخاتمة مختصرة ومهمة عن طريق الكوفة ـ مكة والذي غلب عليه اسم السيده زبيدة زوج هارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور ٠ فنجده يذكر كيف استعمل الطريق في بداية العهد الاسلامي المبكر للجنود المسلمين البواسل الذين ساهموا في الفتح الاسلامي للعراق وفارس وعن الدور الذي قام به بعض الصحابة رضوان الله عليهم بتوفير المياه بواسطة حفر القنوات والآبار في المحطة المشهورة فيد والتي كانت من أهم محطات الطريق في العصور الاسلامية المبكرة ، كذلك أشار الباحث الى أهمية بناء الطرق الاسلامية لغرض خدمة حجاج بيت الله الحرام وأن درب زبيدة يعتبر قمة ماصنعه المسلمون في هذا المضمار ـ لانه يعكس معرفة المسلمين بالفنون والعمارة ومعرفتهم العلمية بمصادر المياه الجوفية والاودية والشعبان وكذلك معرفة المسلمين لجغرافية الجزيرة العربية ٠

وقد أثار الباحث في خاتمة بحثه بضرورة الحفاظ على الاثار الشاخصة والثابتة على طريق زبيدة لما فيه من فائدة ثقافية للمسلمين وخدمة كذلك للبادية القاطنين بالقرب من الطريق للاستفادة من بركه وآباره ٠

الدارة